تمهيد :

اعتبر الباحثون قدامة بن جعفر (337 هـ) أهم محطة يختبر فيها إشكال التأثير اليوناني في النقد العربي القديم، وقلما تناول باحث ما قدامة ولم يقر مسألة التأثير اليوناني في كتابه " نقد الشعر" بل يكاد اسم قدامة يكون حجة لمن أراد أن يثبت مدى تأثير الثقافة اليونانية عموما، والأرسطية على وجه الخصوص في البيان العربي عموما وفي النقد الأدبي على وجه الخصوص، ونظرا لكثرة ما قيل في الموضوع سنحاول أن نعالج هذا الإشكال بكثير من الاختصار والتركيز.

1 -نبذة عن حياة الناقد المتأثر (قدامة بن جعفر) :

نصراني دخل الإسلام على يد الخليفة العباسي المكتفي (285-295 هـ) بعد أن ظهرت براعته في الكتابة الديوانية ببغداد وأصبح " أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء، وممن يشار إليهم في علم المنطق " 1

ألف كتبا كثيرة منها: نقد الشعر، كتاب السياسة، كتاب الخراج (ثمانية منازل وأضاف إليه منزلا تاسعا) وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام، كتاب صناعة الجدل، كتاب زاد المسافر، كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وغيرها 2 توفي في بغداد سنة 337 هـ في خلافة المطيع العباسي .

1 كتاب " نقد الشعر " وأسباب وضعه :

كتاب " نقد الشعر": الكتاب وليد شرعي لمراحل تطور النقد الأدبي عند العرب حين اتسعت مجالات المعرفة، وتبلورت المفاهيم والنظريات.

1 -الفهرست لابن نديم ص 188.

2 -نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت،د عبد المنعم خفاجي ص 48.

وبدأت الثقافة العربية الإسلامية تخرج من الموسوعات إلى التخصص " ومن البحث في القضايا الجزئية إلى القضايا الكلية في ضوء مناهج محددة وتصورات مقررة "1

ووجد قدامة الفوضى سارية في نقد الشعر، فجاءت مرحلة تبحث عن تخليص النقد من الفوضى بتأصيل تصورات صارمة للعلم بالشعر .

وقدامة يحدد أولا ماهية النقد، فهو " علم جيد الشعر من رديئه " 2 وهذا التعريف يرسم خطة البحث وتصميمه، ومكونات هذا التعريف ثلاثة: الشعر ، الجيد ، الرديء

الفصل الأول: حد الشعر " لفظ موزون مقفى يدل على معنى " 3 والشعر صناعة تتحرك بين مستويات الجودة والرداءة، إذ لها طرفان " أحدهما غاية الجودة والآخر غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمى الوسائط " 4

الفصل الثاني : تحدد الصفات التي إذا اجتمعت في كان في غاية الجودة

الفصل الثالث: تحدد الصفات التي إذا اجتمعت في كان في غاية الرداءة وتحديد الجودة والرداءة يكون في ضوء المفردات البسائط التي يدل عليها حد الشعر (اللفظ، المعنى، الوزن ، القافية) والأربعة المؤلفة منها :

ائتلاف اللفظ مع الوزن، ائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف المعنى مع القافية.

وفي ضوء هذه الأنواع الثمانية (الأربعة البسائط، والأربعة المؤلفات) تتحدد الصفات التي يمكن أن تعتور الشعر في حالتي الجودة والرداءة، فتتم محاصرة خصائص الخطاب الشعري، وتبرزه قيمته بشكل موضوعي .

---

1 -الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة عباس ارحيلة، ص 392 .

2 -نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت، د عبد المنعم خفاجي، ص 16,

3 -المصدرنفسه ،ص 17

4 -المصدر نفسه، ص 18.

إن هذا التصنيف الذي وضعه قدامة لتأسيس علم الشعر كان غير مألوف في بحوث السابقين، وكان علميا ودقيقا وواضحا، فأثار انتباه المحدثين خاصة فراحوا يبحثون له عن أصول خارج الثقافة العربية .

أ -أسباب وضع الكتاب " نقد الشعر " :

يبرز قدامة أسباب وضعه لكتابه " نقد الشعر" بأن الناس عنوا بجميع العلوم الشعرية من علم العروض والوزن وعلم القوافي والمقطوع، وعلم الغريب واللغة، وعلم المعاني والمقصود به، وأما علم الجودة والرداءة لم ينل اهتمام المختصين، وفسر وجه التقصير عدم وضعهم لكتاب فيه، إذ يقول" ... وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة، فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقطوع، وأمر الغريب والنحو وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر، وما الذي يريد بها الشاعر ولم أجد أحدا وضع في نقد الشعر وفي تلخيص جيده من رديئه كتابا " 1

ومن ذلك كله يمكننا تلخيص أسباب وضع قدامة لكتابه " نقد الشعر" في ثلاثة أمور هي:

1 -عدم اطلاع قدامة على كتب النقد مثل كتابي: " نقد الشعر " للناشئ الأكبر" وعيار الشعر" لابن طباطبا العلوي، وغيرهما من الكتب المعمورة في هذا المجال.

2 -إدراك قدامة أن أحدا لم يصنع كتابا في علم نقد الشعر خاصة ما يسميه علم الجودة والرداءة .

---

1 -المصدر السابق ص 11 – 12

2 شعور قدامة بتقصير الناس– والنقاد منهم– في النهوض بعلم النقد والاكتفاء بالسطحية والعموم إن فعلوا.

3– قدامة ومسألة التأثير اليوناني في " نقد الشعر " :

يلاحظ أن النقاد القدامى قد استفادوا كثيرا من "نقد الشعر" وبعضهم عابه 1وزيفه حتى احتاج الأمر إلى وضع ميزان للترجيح بين قدامة وخصومه، بل ورفع الاهانة و" كشف الظلامة عن قدامة "

ويبدو أن الكتابة عرف شهرة واسعة وان الأقلام تناولته بالشرح والنقد، ولعه وجد مناهضة من جانب فئة من العلماء لم تتقبل صرامته المنطقية ومحاولته في محاصرة الظاهرة الشعرية،وأثنى عليه ابن حزم وهو يشير إلى كتاب البلاغة" الخطابة" لأرسطو، فقال :" إن الناس قد تكلموا في أمر البلاغة وقد احكم فيه قدامة بن جعفر الكاتب كتابا حسنا " 2

وفي حديثه عن صناعة الشعر قال: " وأما من أراد التمهر في أقسام الشعر ومختارة وأفانين التصرف في محاسنه، فلينظر في كتاب قدامة " 3

أما المحدثون فقد نبه طه حسين منهم إلى أن قدامة هو شاهد الإثبات الأول في مسألة التأثير الأرسطي ، فأصبح قدامة محط اهتمام الباحثين عامة، والمقارنين بين البيان اليوناني والبيان العربي على وجه الخصوص.

---

1 –عن الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة عباس ارحيلة ص 393

2 –رسائل ابن حزم لابن حزم ، تحقيق د،إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ج4،1983 ص 351 .

3 –المصدر نفسه، ص 355

ويعتبر طه حسين كتاب " نقد الشعر" أول ما ظهر من تشريع الفلسفة للأدب... ونحن عندما نقرأه نحس من أول فصوله أننا بإزاء روح جديد لا عهد لنا بمثله من قبل " 1

وعندما استعرض تعريفه للشعر وجد أن عبارته لا تفيد أن المؤلف فهم " كتاب الشعر" أو أنه على تقدير ينقل عنه، ويمكن المضي في قراءة " نقد الشعر" دون أن نلمح أثرا ما لنظرية المحاكاة المشهورة والتي هي جوهر " كتاب الشعر " على أنه إذا كان يجهل قدامة " كتاب الشعر" فقد كان على دراية تامة بكتاب " الخطابة" وقد فهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبق ما فهمه على الشعر العربي ويحدد طه حسين أوجه التشابه بين كتاب " الخطابة" و" نقد الشعر" فيفتح باب المقارنات، وتأتي جهود عديدة لتبين كيف أن الفكر اليوناني كان يشرع للأدب العربي على حد تعبير طه حسين.

وطه حسين وجد قدامة يشرع للنقد في موضعين:

أولهما : محاولته رد فنون الشعر كلها إلى المديح والهجاء ليخضعها لنظرية أرسطو المتعلقة " بالمنافرات"

ثانيهما : متابعته لأرسطو في نظرية " الغلو" الذي يجيزه أرسطو للشعراء في جميع الأحوال وللخطباء في أحوال خاصة 2

أما الأستاذ أمين الخولي فقد اعتبر قدامة ممثلا لمدرسة المتكلمين الذين يعنون بالجدل والمناقشة والتحديد اللفظي ... واستعمال المقاييس الحكيمة المعتمدة على قواعد منطقية 3

أما بالنسبة للأستاذ طه إبراهيم فقد جعل النقد الأدبي في القرن الثالث تتقاسمه ذهنيات أربع...

---

1 –نقد النثر أو كتاب البيان طه حسين، دار الكتب العلمية، مصر،ط 1967 " مقدمة " ص 16.

2 –المرجع نفسه ،ص 18

3 –البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها، أمين الخولي، دار المعرفة، القاهرة، ط 1، 1961، ص 114

وجعل قدامة يمثل الذهنية الرابعة " وهي أجنبية محضة لا تمت بسبب إلى القديم، ولا تركن إلى صلة من أصوله المعروفة، وإنما تستمد كل شيء من اليونان وتجتلب له الشواهد اجتلابا عنيفا من الأدب العربي"1

ولا علاقة لقدامة بالقرن الثالث الهجري وإنما غاية من جعله من أبناء القرن الثالث أن يقتحم مسألة التأثير اليوناني في مرحلة تأسيس الثقافة الإسلامية العربية، أما أن يكون قدامة قد استمد كل شيء من اليونان فهذا أمر لا يقوم عليه دليل من كتاب " نقد الشعر "

وقد استعرض الناقوري مواقف الدارسين لمسألة التأثير اليوناني لدى قدامة فوجد أن الآراء وإن تباينت تلتقي عند مبدأ ثابت، وهو تأثير قدامة بعطاءات الفكر اليوناني عامة وأرسطو خاصة، يبدو من زاوية التحقيق العلمي والبحث التاريخي مفتعلا وذلك مهما كانت جدارة أصحابه، وأهمية الجزئيات التي أفاضوا فيها "2

والناقوري يعتبر مسألة التأثير مسألة طبيعية وظاهرة تاريخية قديمة وإن التمرينات في جهود المقارنين كانت تخدم إيديولوجية تثبت التأثير في القديم ليستساغ الحديث، فتفقد الشخصية العربية أصالتها قديما وحديثا " وتلك المقارنات وإن أفادت البحث ظلت شاهدة على انتكاسة الفكر العربي الحديث الذي أراد أن ينصب أرسطو معلما أولا للفكر العربي في القديم، ويتعبد في محراب الغرب الحديث " 3

وإن بدوي طبانة الذي قدم أوسع دراسة وأعمقها لكتاب " نقد الشعر " وجد في نهاية بحثه أن تأثر قدامة بالفكر اليوناني، " لا يعدو منهج الدراسة وإقامتها على أساس من الفكرة العلمية المستنيرة " 4

---

1 -تاريخ النقد الأدبي عند العرب، طه ابراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت.ط ،ص 65

2 -المصطلح النقدي في نقد الشعر،إدريس الناقوري، دار النشر المغربية، ط1،1982، ص 42-41

3 -الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة عباس ارحيلة ص 397

4 -قدامة بن جعفر والنقد الأدبي بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط3، 1969 ،ص 403.

وهل يعاب على رجل غايته أن يؤسس علما للشعر العربي، ويقضي على فوضى الأذواق، ويضع حدا للخلافات ببن أنصار القديم وأنصار الحديث.

قدامة بن جعفر والفلسفة اليونانية :

اشتهر قدامة بالفلسفة والمنطق اليوناني وتأثر بهما أسلوبه وتفكيره، وكان ينتمي في تكوينه إلى نخبة خاصة من رجال الفكر التي كانت تتطلع إلى الاستفادة من الحركة العقلية في عصرها .

وظل كتاب " نقد الشعر" شاهدا على تأثر صاحبه بالمنطق حتى اعتبر " أول محاولة عملية لتطبيق أصول المنطق على الشعر العربي" 1

وكأنه محاولة من قدامة ليضع ما يمكن أن نسميه " منطق الشعر " 2 فقد وضع لكتابه خطة علمية في ضوء منهجية تقوم على التعريف والتحديد وتحصر القضايا وتحصي الأحوال، خطة تنطلق ممن ماهية الشعر لتحدد خصائصه على مستوى البسائط والمركبات، وظهر أثر المنطق بارزا في تعريف قدامة للشعر فكان ذلك التعريف محط اهتمام الباحثين.

جاء المنطق ليحد من فوضى الأفكار، ويضع القوانين التي يعتمدها العقل في تمييز صحيح الفكر من فاسده، وجاء قدامة ليحد من فوضى الأذواق ويضع القوانين التي يقوم عليها النقد في تمييزه بين الجيد والرديء ولما كانت وظيفة المنطق– التمييز – وكانت مهمة النقد – التمييز– استعار قدامة الأداة المنطقية باعتبارها آلة مجردة تسعى إلى أن تعصم الفكر من الزلل والفوضى في الأحكام3

1 –المرجع السابق ،ص 161

2 –تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس، ص 204.

3 –الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة عباس ارحيلة ،ص 405 .

وأول ما يتناوله المنطق التصورات، أي الأفكار التي يعبر عنها في اللغة بالألفاظ، وفي المنطق بالحدود ، أي العناصر التي تتكون منها القضية المنطقية والحد كما يتكون من كلمة، قد يتألف من عدة كلمات 1

حد الإنسان	الإنسان	حيوان	ناطق	ضاحك	يمشي على قدمين
حد الشعر	الشعر	قول	موزون	مقفى	يدل على معنى
الكليات	نوع	جنس	فصل	خاصة	عرض عام

الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام، هي الكليات الخمسة التي أتى بها " فورفوريوس" أحد شراح أرسطو، وهي موضوع الحد الذي يثير في الذهن صورة معينة ويحدد خصائص شيء يتميز بها عن غيره، ولما كان المنطق يعنى بتوضيح الأفكار وتحديد التصورات، فإن هذه الكليات تساعد على ضبط المفاهيم أي تبين خصائص الموجودات وما بينها من فروق وتمايزات

فالحيوان جنس مطلق على جميع الأحياء، والشعر " قول دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر " 2

فالقول جنس يعمم جميع أنواع القول، والشعر نوع منه، يندرج تحته، كما أن الإنسان نوع من جنس الحيوان، والوزن صفة جوهرية تميز الشعر عن باقي أنواع القول الأخرى، فكونه موزونا يفصله مما ليس بموزون .

وبالمنطق يتميز الإنسان عن باقي الحيوانات فيفصل ويختلف والشعر يكون مقفى ويدل على معنى، وهما فصلان يميزان القول الشعري، عن الأقوال التي لا قوافي فيها ولم يتوفر لها معنى، وإن حازت الوزن والقافية .

---

1 -مدخل إلى علم المنطق، د. محمد مهران، دار الثقافة ، القاهرة،ط 1994، ص 41-62 .

2 -نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت ، د عبد المنعم خفاجي ص 17.

وبهذا اخذ قدامة من الكليات الخمسة ثلاثا، وهي الصفات الجوهرية الذاتية: الجنس ، النوع ، الفصل إذا كان يبحث عما هو جوهري في الشعر، أي " معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر " 1

والملاحظ أن قدامة لا يخفي صناعته المنطقية، فهو يكشف عنها عند قوله في " نعت ائتلاف اللفظ والوزن " أنه استغرق في طرح ذلك " لاحتجن إلى إثبات الكثير من صناعتي المنطق والنحو في هذا الكتاب" 2

والملاحظة الثانية أن الرجل أراد أن يجعل النقد علما، فتسلح بأدوات المنطق ليحد من فوضى الأذواق، فانتهى إلى قواعد ذهنية أراد أن بها محاصرة أنفاس الشعراء وذهب بقيس أسباب الجودة بموجبها، فكشفت تجربته أن العقل حين يتجبر تتهاوى الروح وتفقد توهجها 3

والملاحظة الثالثة أن محاولات التقنيين للظاهرة الشعرية ظهرت عند سابقيه أمثال ابن قتيبة في تحديده لأضرب الشعر، وعند ثعلبة في تقسيماته، وفي محاولة ابن طباطبا أن يحد من طغيان الذوق بالتزام بعض القواعد 4

أما الملاحظة الرابعة في أن أثر المنطق لم يخل من إيجابيات، بل أنه أعطى قدامة شخصية جريئة لها طابعها وقوتها، واستطاع في ضوء تصميمه ومنطلقاته الفكرية أن يدخل ترتيبا داخل النقد الأدبي ، وأن يحدد مستويات إجرائية في معالجة النص الأدبي على مستوى المفردات الأربع والمركبات الأربعة، وبذلك يخضع كل إجراء لأسس مضبوطة تتحدد بها القيمة الشعرية 5

---

1 –المصدر السابق والصفحة نفسها.

2 –المصدر نفسه ،ص 166

3 –الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة عباس ارحيلة ص 408

4 –المصدر نفسه.

5 –المصدر نفسه.

والخلاصة أن قدامة سعى في أن يوظف المنهج في قراءة النقد العرب، فقدم محاولة " لعلمنة " النقد، ولعل محاولته لإخضاع الشعور الإنساني إلى المنطق الخالص جعلت القدماء والمحدثين يحسون بغرابة المحاولة في الوسط العربي الإسلامي على مستوى البناء والأسلوب .

ماهية الشعر عند قدامة:

يعرف قدامة الشعر " هول قول موزون ومقفى يدل على معنى " 1
ويمكن تفصيل التعريف على النحو التالي :

- قول : دال على أصل الكلام الذي هو بمنزلة جنس للشعر
- موزون : يفصله مما ليس بموزون
- مقفى : فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف، وبين ما لا قوافي له ولا مقاطع
- دال على معنى : يفصل ما جرى من القول على قافية ووزن مع دلالته على معنى .

ومن هذا المنطلق نستطيع القول أن هذا التعريف أشبه ما يكون بالقاعدة النحوية، والتي ترجع اللغة إلى المنطق.

- **عناصر الشعر المفردة:** يقسم قدامة الشعر إلى أربعة عناصر (اللفظ ،الوزن ، القافية، المعنى) : وتعني مفردة وبسيطة وأربع أخرى هي مركبة، ونلاحظ أن المعنى كان بمثابة المادة الخام، ومن هذا لا يصبح للمعنى قيمة فنية في الأدب، وإنما القيمة تكون معرضة للشكل، ولا يجب أن يحكم على الشعر بجودة الفكرة بل بجودة الشكل.

1 –نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت، د عبد المنعم خفاجي ص 13

فقدامة في تعريفه للشعر لم يقدم سوى الإطار العام أو حدد الجنس العام للشعر " إن نقد قدامة لا يستطيع أن يتناول إلا الواقع الشعري، دون غيره من المستويات، ومثل هذا النقد يستطيع أن يتمرس بالحقائق التي يقبلها العقل في الشعر، ويؤثر التقرير والوضوح والحسم الفاصل والصحة المتميزة.

والفرق بين قدامة وابن طباطبا أن الأول يريد أن يضع للشعر مخططا منطقيا يقطع النظر عن السعة والشمول وحكم الذوق، والثاني يحاول أن يحد من طغيان الذوق بشيء من القواعد والأسس " 1

أ-اللفظ : يقول قدامة : " أن يكون سمحا سهل مخارج الحروف، من مواضعها عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة "2

مثل أشعار يؤخذ منها ذلك، وإن خلت من سائر النعوت للشعر منها: يقول الحارثة الذبياني:

وتصدقت حتى استبتك بواضح صلت كمنتصب الغزال الأتلع
وبمقلتي حوراء تحسب طرفها وسنان حرة مستهل المدمع
وإذا تنازعك الحديث رأيتها حسنا تبسمها لذيذ المكرع
كقرير سارية تتفحه الصبا بنزيل أسحر طيب المستنقع

فنلاحظ أن هذه الألفاظ تشتمل على الصفات التي اشترطها قدامة في الألفاظ، وبها جودتها وهذه الصفات حددها في المقولة السابقة.

ب-الوزن : الشاعر كلامه موزون، والقصيدة القديمة تتحقق فيها وحدة الوزن والقافية، فالشاعر إذا افتتح قصيدته بوزن معين وقافية معينة إلتزم بها حتى آخر القصيدة...3

---

1 – تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص 194

2 –نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت، د عبد المنعم خفاجي ص 74

3 –نفس المصدر، 78.

يقول قدامة عن الوزن: " أن يكون سهل العروض، من أشعار يوجد فيها، وإن خلت من أكثر نعوت الشعر " 1

ومن الأمثلة التي ذكرها قدامة في قضية الوزن قول حسان بن ثابت :

ما هاج حسان رسوم المقام ومظعن الحي ومبنى الخيام

والنؤى قد هام أعضاده تقادم العهد بواد تهام

قد أدرك الواشون ما أملوا فالحبل من شعثاء رث الزمام

نلاحظ في هذه الأبيات الثلاثة أنها تنتهي على نفس الوزن، أو الموسيقى وهكذا لو تتبعنا كل القصيدة لوجدناها على نفس الشاكلة، وممن نعوت الوزن الترصيع : " وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف " 2

ومثال الترصيع عنده كقول امرئ القيس الكندي :

مخش مجش مقبل مدبر معا كتيس ضبياء الخلب العدوان

فنلاحظ أن اللفظتين الأولى والثانية مسجوعتين، في تصريف واحد، وهما على وزن واحد .

ج-القافية : يقول قدامة عن القافية :

" أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن تقصد لتصير مقطع المصراع الأول في الأول من القصيدة في قافيتها " 3 ويسمى هذا تصريعا وهو إلحاق العروض بالضرب وزنا وتقفيته سواء بزيادة أو نقصان .

---

1 -المصدر السابق.

2 -نفس المصدر ، ص 80

3 -نفس المصدر.

يقول أوس بن حجر :

ودع لميس وداع الصارم اللاحي قد نثمت في فساد بعد إصلاح

إني أرقت ولم تأرق معي صاح لمستكف بعيد الـــنوم لـــواح

والقافية خارج الابداع التلقائي تخضع شأن الوزن إلى الاختيار الداعي فالشاعر يعدها كما بقية عناصر قصيدته قبل الشروع في العمل وهذا الاختيار تراعى فيه شروط تؤهل القافية إلى الاندماج إيقاعيا ودلاليا مع النسيج البنائي للنص .

د-المعنى : نلاحظ أن المعنى يأخذ حصة كبيرة في تقسيمات قدامة مقارنة بالوزن واللفظ والقافية يقول: " إن المعاني كلها معروضة للشاعر، وله أن يتكلم منها في ما أحب وأكثر من غيره أن يخطر عليه معنى يروم الكلام فيه، إذا كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعة والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لابد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها، مثل الخشب للنجارة والفضة للصياغة " 1

إذا الحكم في هذا التصور هو المعني لا المعنى في ذاته، أي الاهتمام بالشكل يقول قدامة: " وعلى الشاعر إذا شرع في الرفعة والضفة، والترفث والنزاهة والبذخ والقناعة والمدح وغير ذلك من المعاني الحميدة أو الذميمة، أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى القائمة المطلوبة " 2

من خلال هذا نفهم أن قدامة يتناول المعنى تناولا فنيا صرفا وليس ممن منظور أخلاقي، فهو لا يميز بين المعنى الحميد أو الذميم في الصناعة الشعرية، فالمعنى الفاحش لا يؤثر في الشعر حيث يقول : " وليست فاحشة المعنى نفسه مما يزيل صورة الشعر فيه " 3

---

1 -نظرية الإبداع في النقد عبد القادر هني، بن عكنون الجزائر، ط2، 1999 ص 43

2 -نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت، د عبد المنعم خفاجي ص 20

3 -معجم النقد العربي القديم ،ص 585.

-**عناصر الشعر المركبة :** ننتقل من عاصر الشعر المفردة البسيطة إلى العناصر الأربعة المركبة وهي :

1 – ائتلاف اللفظ مع الوزن

2 – ائتلافا لمعنى مع الوزن

3 – ائتلاف اللفظ مع المعنى

4 – ائتلاف المعنى مع القافية

وبهذا تصبح أقسام الشعر أو عناصره عند قدامة ثمانية .

أولا نعرف الائتلاف :" هو الاجتماع، ويقال ائلف الشيء ألف بعضه بعضا " قال لطوي : " وهو انفعال من قولهم من قولهم ألف الضرر بعضها إلى بعض إذا ضمها أما في اللسان وقد ائتلف القوم ائتلافا وألف الله بينهم تأليفا "1

1 -**ائتلاف اللفظ مع الوزن:** وهو أحد أقسام الائتلاف عند قدامة وقد عرفه قائلا :

" هو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بنيت لم يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها وهي أقوال على ترتيب ونظام.. 2

لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها ولا يضطر أيضا إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها، بل إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها، بل يكون الموصوف مقدما والصفة مقولة عليها وغير ذلك مما لو ذهبنا إلى شرحه لاحتجنا إلى إثبات كثير من صناعتي المنطق والنحو في هذا الكتاب"3

---

1 –المصدرالسابق ،ص 39.

2 –نقد الشعر لقدامة بن جعفر ت، د عبد المنعم خفاجي ص165

1 – نفس المصدر ، ص165

2 -**ائتلاف المعنى مع الوزن** : يقول قدامة :" هو أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب، ولا إلى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضا مواجهة للغرض، لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته "

3 - **ائتلاف اللفظ مع المعنى** : ولهما عدة أنواع وهي المساواة والإشارة والإرداف والتمثيل .

أ – المساواة : أي أن يكون اللفظ متوازيا مع المعنى أي أنهما في نفس الرتبة فلا زيادة ولا نقصان كما قال فيها قدامة: " ما كانت ألفاظه قوالب لمعانيه أي هي مساوية لها، لا يفضل أحدهما على الآخر " 1

وذلك مثل قول امرئ القيس :

فإن تكتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقد

وإن تقــتلونا نقتــلكم وإن تقصدوا الدم لا نقصد

ب– الإشارة : يقول قدامة : " وهي أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معادن كثيرة بإماء إليها أو لمحة تدل عليها " 2 أي أن يكون اللفظ القليل أوسع دلالة، أي أنه يشمل معادن عديدة مستعملا الإشارة والتلميح إليها وهي كقول امرئ القيس :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا واني

فقد جمع بقوله " أفانين" جرى على ما لو عدا لكان كثيرا وضم إلى ذلك جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس.

---

1 – المصدر السابق،ص 153

2 –المصدر نفسه، ص 154 – 155

ج-الإرداف : يقول قدامة : " هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دل على التابع أبان على المتبوع " 1

وذلك يعني الكفاية أي أن الشاعر عندما يريد دلالات من المعاني فإنه لا يصرح عليها بلفظ معين وإنما بلفظ مرادف له، ومثل هذا في قوله امرئ القيس :

بعيدة مهوى القراط إما لنوفل أبوها عبد شمس وهاشم

إنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد فلم يذكره بلفظه الخاص به بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو بعد مهوى القرط.

هـ- التمثيل : يقول قدامة : "هو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أنه يشير إليه الشاعر" 2 وممن هذا القول بعض بني كلاب :

دع الشر واحلل بالنجاة تعزلا إذا هو لم يسبغك في الشر صابغ

ولكن إذا ما الشر ثار دفينه عليك فانضج منه ما أنت دابغ

فيمكن القول: دع الشر ما لم تنشب فيه فإذا فيه فبالغ .

4-ائتلاف المعنى مع القافية : يقول قدامة: " هو مع ما يدل عليه سائر البيت أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت، تعلق نظم له وملائمة لما هو فيه " 3 فمن أنواع ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى البيت :

أ-**التوشيح** : (وهو أن يكون أول البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به...

---

1 - المصدر السابق، ص 157

2 -المصدر نفسه، ص 159 - 160

3 -المصدر نفسه، ص 167 .

حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمع أول بيت عرف آخره وباتت له قافيته)

ومثل ذلك قول الراعي :

وإن وزن الحصى فوزنت قومي **** وجدت حصى ضريتهم رزينة

فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت استخراج منه لفظة قافية، لأنه يعلم أن قوله وزن الحصى سيأتي بعده رزين لعلتين : الأولى أن قافية القصيدة توجيه، والثانية أن نظام المعنى يقتضيه لأن الذي يفاخر برجاحة الحصى يلزمه أن يقول في حصاه أنه رزين.

ب- الإيغال : "وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيها ذكر صنع ثم يأتي بها لحاجة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت "1

وذلك كما قال امرؤ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملا قبل القافية، وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكده وهو قوله " الذي لم يثقب " فإن عيون الوحش غير مثقبة وهي بالجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه .

عيوب الشعر :

يقول قدامة : " وإذا قد أتيت على ما ظننت أنه نعت للشعر وعددت أجناس ذلك وفصلت أنواعه، فالآن أحب أن أبتدئ بذكر عيوب الشعر وأذكر أجناس ذلك على الترتيب الذي رتبت النعوت عليه وتحسب تلك السياقة " 2

1 -المصدر السابق ، ص 168.

2 -نفس المصدر، ص 182

وقد قسم ابن قدامة عيوب الشعر إلى ما يلي:

1- عيوب العناصر المفردة: وتتضمن كل من:

أ -**عيوب اللفظ : المعاضلة:** حيث تستعمل اللفظة في غير موضعها من المعنى ومن ذلك قول الشاعر :

وما رقد الولدان حتى رأيته على البكر يمتريه بساق وحافر

فسمى رجل الإنسان حافرا، فإن ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه.

ب -**عيوب الوزن : التخلع :** " وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط تزحيفه، وجعل ذلك بنية للشعر كله، حتى ميله إلى الانكسار وأخرجه من باب الشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض، فيصبح فيه فإن ما جرى هذا المجرى من الشعر ناقص الطلاوة قليل الحلاوة ".1

يقول عبيد بن الأبرص :

والمرء مما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

والقصيدة من مخلع البسيط

نلاحظ أن المعنى جيد والألفاظ حسنة، إلا أن الوزن قد شان نظرا لما جرى من تزحيف في القصيدة وفي الأبيات كلها، وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط أو ما كان في بيت أو بيتين من القصيدة .

1 -المصدر السابق، ص 178

ت- عيوب القافية :

- **التجميع :** وهو أن تكون قافية المصرع الأول من البيت الأول على روي متهيء لأن تكون قافية البيت فتأتي بخلافه " 1 يقول الشماخ :

لمن منزل عاف ورسم منازل عفت بعد عهد العاهدين رياضها

- **الإقـــــواء** :"وهو اختلاف حركات القوافي فتكون واحدة مرفوعة والأخرى مخفوضة "2

يقول سحيم بن وثيم الرياحي :

عذرت البزل إن هي خاطرتني فما بالي وما بال ابن اللبون

وماذا تبتغي الشعراء متني وقد جاوزت حد الأربعين

فنلاحظ أن نون الأربعين مفتوحة ونون اللبون مكسورة، وكأنه وقف القوافي فلم يحركها .

- **الإيطاء** :(من المواطأة، أي الموافقة) كما قال تعالى: " ليواطئوا عدة ما حرم الله " 3

" فتتفق في ذلك القافيتان في القصيدة فإن زادت على اثنين فهو أسمج، فإن اتفق اللفظ واختلف المعنى كان جائزا " 4 كقولك " أريد خيارا " و " أوثر خيارا " أي تريد خيارا من الله لك في كذا، وخيار الشيء أجوده .

---

1 -البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، ت عبد أ علي مهنا،، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1987 ص 64.

2 -كتاب القوفي تصنيف القاضي أبي يعلى عبد الباقي،ت.عوني عبد الرؤوف، مكتبة الخانجي، مصر ط2 ،1978 ص 169 .

3 -سورة التوبة الآية 37

4 -كتاب القوفي تصنيف القاضي أبي يعلى عبد الباقي، ص 178.

- **السناد :** وهو أن يختلف تصريف القافيتين حيث يقول عدي بن زيد:

ففاجئها وقد جمعت جموعا على أبواب حصن مصلتتينا

فقدمت النديم لراهشيه وألفي قولها كذبا ومينا

وهنا نلاحظ اختلاف قافيتي البيت الأول والبيت الثاني

د-عيوب المعنى : من معانيه المعيبة:

- **فساد الأقسام:** " وذلك يكون إما بأن يكررها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يحوز أن يدخل أحدهما في الآخر في المستأنف وأن يدع بعضها فلا يأتي به " 1

فأما التكرير فمثل قول هذيل الاشجعي :

فما برحت تومئ إلي بطرفها وتومض أحيانا إذا خصمها غفل وذلك أن تومض وتومئ بطرفها متساويان في المعنى فكان ذلك تكرار وأما دخول أحد القسمين في الآخر فمثل قول أحدهم :

أبادر إهلاك مستهلك لمالي أو عبث العابث

فعبث العابث دخل في إهلاك مستهلك،وأما أن يكون القسمان مما يحوز دخول أحدهما في الأخر فمثل قول أبي عدي القرشي :

غير ما أن أكون نلت نوالا من نداها عفوا ولا مهنئا

فالعفو قد يجوز أن يكون مهنئا والمهنئ قد يجوز أن يكون عفوا

- **فساد المقابلات :** " كأن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بأخر، إما على وجه الموافقة أو المخالفة فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر أو يوافقه"2

---

1 -نقد الشعر قدامة ت، د عبد المنعم خفاجي ص 192

2 -نفس المصدر ،ص 193.

يقول أبو علي القرشي :

رحماء لذي الصلاح وضرا *** بون قدما لهامة الصنديد

فليس للصنديد فيما تقدم ضد ولا مثل، ولعله لو كان مكان قوله الصنديد الشرير لكان جيدا لقوله ذي الصلاح .

- **فساد التفسير:** نظرا لما ورد في باب نعت هذا المعنى، فإننا نعرف الوجه في عيبه قال الشاعر:

فيا أيها الحيران في ظلم الدجى*** ومن خاف يلقاه بغي من العدى

تعالى تلق من نور وجهه **** ضياء ومن كفيه بحر من الندى

والعيب في البيتين أن هذا الشاعر قدم في البيت الأول الحيرة في الظلم ويعني العدى، كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما، فأتى بإزاء الظلام بالضياء وهذا صواب، وكان من الواجب أن يأتي بإزاء العدى بالنصرة أو بما يجانس ذلك مكانه الندى .

- **الاستحالة والتناقض:** " وهو أن يذكر في الشعر شيء فيجمع بينه وبين المقابل له من جهة واحدة " 1

والأشياء تتقابل على أربع جهات:

1 -عن طريق المضاف : وهو الشيء يقال بالقياس إلى غيره

2 -عن طريق العدم والقنية : مثل الأعمى للبصير

3 -عن طريق النهي والإثبات: مثل أن يقال زيد جالس، وزيد ليس جالس .

---

1 -المصدر السابق، ص 195.

4 -عن طريق المقابلات : فإما عن طريق التضاد يقول أبي نواس

كأن بقايا ما عنا من حبابها تفاريق شيب في سواد عذار

وهذا يدخل في باب التضاد فشبه حباب الكأس بالشيب، هذا جائز لأن الحباب يشبه به في البياض وحده لا في شيء آخر ثم قال :

تردت به ثم انفرى عن أديمها تفري ليل عن بياض نهار

فالحباب الذي جعله في البيت الثاني كالليل هو الذي كان في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذراء هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، وليس في التناقض له منصرف إلى جهة من الجهات للعذر لأن الأسود والأبيض طرفان متضادان، فليس يجوز أن يكون شيئا واحدا يوصف بأنه أسود وأبيض

- ايقاع الممتنع فيها في حالة ما يجوز وقوعه ويمكن كونه:

" والفرق بين الممتنع والمتناقض الذي تقدم الكلام عليه أن المتناقض لا يكون تصوره في الوهم أما الممتنع لا يكون ولكن يمكن تصوره في الوهم " 1

ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع فيما يجوز وقوعه، مثل قول أبي نواس:

يا أمير الله عش أبدا دم على الأيام والزمن

فليس يخلوا هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله عش أبدا أمرا أو دعاء وكلا الأمرين مما لا يجوز ومستقبح .

- مخالفة العرف والاتيان بما ليس في العادة والطبع :

مثل قول المرار :

وخال عن خديك يبدو وكأنه سنا البرق في دعجاء باد دجونها

1 -نقد الشعر قدامة ت، د عبد المنعم خفاجي ص 201.

فالمتعارف والمعلوم أن الخيلان سوداء وما قاربها في ذلك اللون والحدود الحسان إنما هي البيض وبذلك تنعت فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى

- نسبة الشيء إلى ما ليس له :

كما قال خالد بن صفوان :

فإن صورة راقتك فاخبر فربما أمر مذاق العود والعود أخضر

فهذا الشاعر بقوله (أمر مذاق العود والعود أخضر) كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذبا أو غير مر، فهذا ليس بواجب لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالأخر .

2- عيوب العناصر المركبة :

أ -عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى :

-**الإخلال :** " وهو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى " 1

ومثال ذلك قول ابن عتبة بن مسعود :

أعاذل عاجل مالي أحب إلي (م) من الأكثر الرائث

فإنما أراد أن يقول: عاجل مالي مع القلة أحب إلى من الأكثر البطيء فترك مع القلة وبه يتم المعنى ومن عيوبه كذلك أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى وهو عكس العيب السابق.

ب -عيوب ائتلاف اللفظ والوزن منها :

- **الحشو :** " وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن " 2

---

1 -معجم النقد العربي القديم ، ص 90

2 -نفس المرجع ، ص 95

ومثال ذلك ما قال أبو عدي العبشمي :

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمت في المجد للأقوام كالأذناب

فقوله " للأقوام " حشو لا منفعة فيه

- **التلثيم** : وهو أن يأتي الشاعر، بأشياء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص منها"

يقول عقلمة :

كأن ابريقهم ظبي على شرف مقدم بسبا الكتان ملثوم

أراد بسبائب الكتان وإنما حدف للعروض

- **التذنيب** : كأن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها وهذا العيب على عكس العيب السابق " التثليم "

يقول الكميت :

لا كعبد المليك أو كزيد أو سليمان بعد أو كهشام

فنلاحظ أن الملك والمليك هما اسمان لله عز وجل وليس إذا سمي إنسان بالتعبد لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر .

- **التغبير**: " وهو أن يحيل الإسم من حالة وصورته إلى صورة أخرى إذا اضطره الوزن إلى ذلك 1

كقول بعضهم يذكر سليمان عليه السلام : ونسيج سليم كل قصاء ذائل

- **التعطيل** :" هو أن لا ينتظم الشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض فيقدم ويؤخر " 2

---

1 –البديع في نقد الشعر ، ص 130

2 –معجم النقد العربي القديم ، ص 363

يقول دريد بن الصمة:

وبلغ نميرا إن عرضت ابن عامر فأي أخ في النائبات وصاحب

فنلاحظ أنه فرق بين نمر وبن عامر بقوله: " إن عرضت " فهو فصل بين الاسم والكنية بفاصل وبهذا لم ينتظم الكلام وهذا للضرورة إيقاعية .

ث-عيوب ائتلاف المعنى والوزن معا :

- **المغلوب** : " ويكون ذلك عندما يضطر الوزن الشاعر إلى احالة المعنى وقلبه إلى خلاف ما قصد به " 1

يقول الحطيئة :

فما خشيت الهون والعير ممسك على رغمة ما أثبت الحبل حافره

فهو أراد القول: أراد الحبل حافره وبذلك فانقلب المعنى

- **المبتور** : " أن يطول المعنى عن أن يحتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه بالقافية ويتمه في البيت الثاني 2

يقول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان علي آمري ومن لك بالتدبر في الأمور

فهذا البيت ليس قائما بذاته في المعنى ولكنه أتى بالبيت الثاني فقال :

إذا لملكت عصمة أم وهب على ما كان من حسك الصدور

فالمعنى في البيت الأول ناقص فأتمه في البيت الثاني 3

---

1 – المرجع السابق، ص 365

2 –المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

3 –نقد الشعر، قدامة ت، د عبد المنعم خفاجي المصدر السابق، ص 209 .

عيوب ائتلاف المعنى والقافية :

" أن تكون القافية مستدعاة قد تكلف في طلبها فاستعمل معنى سائر البيت" 1

يقول أبو تمام :

كالضبية الأدماء صافت فارتعت زهر القرار الغض والجثجاثا

فهذا البيت مبني على طلب هذه القافية وإلا فليس في وصف الضبية بأنها ترتقي الجثجاثا إذا قصد نعتها بأحسن أحوالها، في حين تناولها الشجر تكون رافعة رأسها.

- أن يأتي بالقافية لأن تكون نظيرة لأخواتها في السجع لا لأن لها فائدة في معنى البيت2

يقول علي بن محمد البصري :

وسابغة الأذيال زغف مفاضة تكنفها مني البجاد المخطط

فليس لأن يكون هذا البجاد وهو الثوب الغليظ مخططا صنع في صفة الدروع وتجويد نعتها ولكنه أتى به من أجل السجع .

1 -معجم النقد العربي القديم ، ص 210 .

2 -المرجع نفسه، ص 211 .